الأدوات النحوية

-بنيتها و وظيفتها -

الأستاذ الدكتور : محمد خان
عميد كلية الآداب و العلوم الانسانية
جامعة محمد خيضر-بسكرة (الجزائر)

ملخص:

يتناول هذا المقال موضوع الأدوات النحوية، ويبيّن مصادرها في التراث، ومنهجية القدماء في تناولها كما يبيّن بنيتها ووظيفتها المزدوجة: الوظيفة النحوية التي قد تجلب الحركة أو تلغيها لما يقع بعدها من كلمات، والوظيفة الدلالية التي تعتبر قرينة الأسلوب في أغلب الأحيان .

Résume

Cet article a pour objet les outils grammaticaux tout en montrant leurs origines dans notre patrimoine, et la méthodologie d'étude des anciens. Il montre aussi leur structure et leur double fonction ; la fonction grammaticale qui peut manipuler ou abolir l'accord avec les mots en cataphore, et la fonction sémantique autant tqu'accompagnant du style en général

الأداة في اللغة هي الآلة والوسيلة، وفي الاصطلاح هي الكلمة التي تربط بين أجزاء الكلام، وتكون دلالتها في غيرها **كأل** التعريف **وسين** الاستقبال، وهي الحرف الذي يقابل الاسم والفعل في التقسيم الثلاثي للكلمة في النحو العربي؛ قال سيبوسه: " الكلم: اسم وفعل وحرف جاء لمعنًى، ليس باسم ولا فعل"(1).

سنعتمد في هذه المقالة مصطلح الأداة، بحسب هذا التعريف: " الأداة هي التي يستخدمها المتكلم لإحكام دلالة الجملة، وإتمام إفادتها حتى يطابق الكلام مقتضى الحال، وللربط بين الأسماء والأفعال والجمل من أجل إنشاء الأسلوب، ومن ثمّ تكتسب الأداة معناها من السياق"(2) .

ذلك أن الأدوات تتضمن أصناف الحروف، كما هي عند النحاة، وما شاكلها من الأسماء والأفعال . فهي ما يتَوسل به المتكلم لإنشاء معانٍ مختلفة يقتضيها المقام، وظروف التعبير، كما أن من شأن هذه الأدوات، في بعض الأحيان، جلب الحركة أو قطعها (السكون) لما يقع بعدها من كلمات .

وهي العوامل في مقابل حروف المباني .(3) وهي: الحروف الهجائية التي تبنى منها الكلمة .

وبنية الكلمة هيئتها التي تكون عليها وجمعها بِنًى. والحقيقة أن بعض الأدوات قد تفيد معنى ما بحسب التركيب، كأن تقول رغبت في السفر ورغبت عن السفر، وحكمت في القضية، وحكمت له، وحكمت عليه.....إلخ. ومن المفيد أن نأخذ بهذا الاتجاه الأخير في التعامل مع الأدوات، إذ لبعضها معنى في السياق، ولكنها لاتستقل بمعنى خاص.

الأدوات في كتب التراث:

الأدوات أو حروف المعاني، كما وردت في بعض كتب التراث، تؤدي وظائف نحوية ومعاني دلالية، وهي تضم حروفا وغيرها مما شاكلها في الوظيفة والدلالة .

وقد وردت دراسة الأدوات في كتب النحو العامة، وفي كتب علوم القرآن وإعرابه، ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أصناف:

1- **صنف:** يتناول الأدوات بتبويب خاص، مثل ما فعل سيبويه، حيث أفرد باباً خاصاً أسماه: « باب عدة ما عليه الكلم» [4].

كما تناول بعضها من الناحية الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، في مواضع متفرقة من مؤلفه. ويندرج في هذا المجال أيضا كتاب معاني القرآن للفراء(207هـ)، وكتاب معاني القرآن للأخفش(207هـ)، والمقتضب للمبرد(285هـ)، وإعراب القرآن للزجاج(316هـ)، والأصول في النحو لابن السراج(316هـ)، والجمل للزجاجي(337هـ)، وبدرجة أكثر دقة وتفصيلا المفصل للزمخشري (671هـ)، ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري(761هـ)، والاتقان للسيوطي(911هـ).

2- **صنف:** يضم المؤلفات التي اختصت بالأدوات أو حروف المعاني، ومن أهمها:حروف المعاني لأبي القاسم الزجاجي(337هـ)، ومعاني الحروف للرماني(384هـ)، وكتاب الأزهية في علم الحروف للهروي(415هـ)، وشرح معاني الحروف للمجاشعي(479هـ)، ورصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي(702هـ)، والجنى الداني على حروف المعاني للمرادي(749هـ)، ومعاني الحروف والأدوات لابن القيم(715هـ).

3- صنف: يتمثل في الكتب التي تناولت الأدوات، لكن بالتركيز على جزئية، مثل الهمز لقطرب(206هـ)، والتثنية والجمع لأبي عبيدة(210هـ)، واللامات في القرآن للأخفش(207هـ)، واللامات لابن كيسان(229هـ)، والألفات لابن الأنباري(327هـ)، واللامات للزجاجي(337هـ).

منهج دراسة الأدوات في تلك المؤلفات:

اختلف منهج العلماء في تناول الأدوات،ويمكن أن نبيّن اختلافها بالحديث عن بعض النماذج، منها:

الصنف الأول: لم يتبع الهروي(415هـ) في كتابه "الأزهية في علم الحروف" ترتيباً معيّناً، ولامنهجا واضحاً«فلايمكن وسمُه بالمنهجيّة والترابط والتسلسل»(5).فقد جمع بين الأدوات الأحاديات والثنائيات والثلاثيات والرباعيات وأدخل فيها بعض الأفعال والأسماء، وبهذا المنهج خالف عنوان مؤلفه الذي يفترض أن يكون مقصورا على الحروف لاغير. وتحدث عن كثير من أنواع الحروف، ثمّ يختم كتابه بالحديث عن الذي، واللغات فيها. وتناول المرادي(749هـ) في كتابه" الجنى الداني على حرُوف المعاني " حَدّ الحرف وعلة تسميته وأقسامه، وعمله، ومعانيه، ثم أدرجها في أبواب، فكان الباب الأول للأحاديات والثاني للثنائيات، وأدخل فيها عسى وليس ومتى.....وبعض الضمائر.

و أما الصنف الثاني: فكان أوفَاهم لهذا النوع ابنُ هشام الأنصاري حيث تميزّ بالمنهجية الدقيقة والتنظيم الواضح، فبدأ بالحروف وأحكامها، وما تضمن معناها من الأسماء والظروف، ورتبها ترتيبا ألفبائيا ليسهل تناولها

فهو من الذين جعلوا الأداة شاملة للحروف، ومانحا منحاها من الأفعال والأسماء وأفاض فيها، مدّعما ما يرد فيها من أقوال وآراء بالشواهد القرآنية والشعرية وغيرها.

إن الأدوات لم تختلف مناهج دراستها فحسب، بل تفاوتت من حيث العدد من مؤلف إلى آخر، وتنوعت كيفيات معالجتها بين الإطناب والإيجاز تَبعا لاختلاف المؤلفات من حيث طبيعتها وزمان وضعها و من خصائص الأدوات:

1-وظيفة الأدوات: تتوزع الأدوات على وظائف شتى قال الجرجاني: " ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام:

تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بهما،إن تعلّق الحرف بهما، فعلى ثلاثة أضرب:

1- أن يتوسط الحرف بين الفعل والاسم، مثل حروف الجر التي تعدّي الأفعال إلى الأسماء. مثل كتبت بالقلم على الورق.

2- أن يُدخل الحرفُ اللفظ الثاني في عمل العامل في الأول مثل قام أحمد وحافظ.

3- أن يتعلق الحرف بمجموع التركيب بما يدخل عليه.(6)

مثل تعلق حرف النفي في قولك: لن ينال العلا الكسول، والاستفهام: هل تقومُ الليل؟ والشرط والجزاء: من يعمل خيرًا يُجز به. ويحصُل من هذا الكلام وغيره أن للأدوات ميزتين: التعلق والاختصاص، وذلك باعتماد ناحيتين هامتين؛ المبنى والمعنى.

2-الرسم الإملائي:

تتصل الأداة بما بعدها من ألفاظ إذا كانت على حرف واحد مثل بِهِ ولَهُ، أما إذا كانت الأداة على أكثر من حرف واحد فتُفصل في الكتابة عما بعدها ويطلق عليها" أداة منفصلة"، مثل على الطريق في الجامعة... أما عنه أو عليه، فالوصل للضمير؛ لأنه على حرف واحد، ولذلك لحق بما قبله وهذه الخاصية للأدوات التي تنفرد بها عن الأفعال؟ لأن الفعل قد يصبح على حرف واحد، ومع ذلك يكتب مستقلا، كما في نحو **ق نفسك الظنون**.

3- علامة الأداة:

نصّ النحاة على أن الأداة لاتقبل علامات الاسم ولا علامات الفعل، فلا تقبل الإسْناد والنداء والجر.....كما لاتقبل تاء التأنيث ولا التاء المتحركة ولا السين ولا سوف، ولا نون التوكيد... فإذا لم يحسن في اللفظ شيء من العلامات الخاصة بالأسماء أو الأفعال، عُلم أنها أداة.

4- البناء في مقابل الإعراب:

إذا كانت العلامات الشكلية تنعدم في الأدوات فإنها تفقد خاصية الإعراب كذلك التي هي خاصية في غيرها(الأسماء الأفعال)، وما شابه الأدوات كان مبنيًّا سواء أكان من الأفعال أم الأسماء.

فقد نص النحاة على أن كل الأدوات مبنية، وكذلك الأفعال، ماعدا الفعل المضارع الذي يُعرب إذا ما لم تتصل نون النّسْوة أو نون التوكيد اتصالا مباشرًا.

5- الرتبــــــــــة:

للأدوات الصدارة في الترتيب، ذلك أن الرتبة قرينة تساعد على تقريب المعنى المقصود. « فالأداة أشد تأصّلا في حقل الرتبة من الضمائر، ومن ثّم تعتبر مجالا خصبا لدراسة ظاهرة الرتبة في اللغة العربية الفصحى» (7).

تتصدر أدوات معينة الجملة، وتحَّول معناها الإعلامي الصرف، إذ تسبغ عليها معنًى معينا، وتدخلها في أسلوب خاص من أساليب التعبير، فالأدوات التي تتصدر الجملة هي التي تحدد عادة أسلوبها، فإذا أراد المتكلم أن يحول الجملة المثبتة إلى منفية أو استفهامية أو غيرهما أدخل الأداة الموضوعة لذلك الغرض.

تتحد منزلة بعض الأدوات بما تدخل عليه، بغض النظر عن موقعه في التركيب، مثل أدوات العطف التي تتقدم على المعطوف، أو حروف الجر التي تتقدم على المجرور....

6- الجمود في مقابل الاشتقاق:

إذا كانت الأسماء والأفعال تقبل الدخول في جدول تصريفي، فتتوضح علاقاتها الاشتقاقية، فإن الأدوات لاتقبل ذلك، ولا يمكن أن تعوّض بغيرها، وهي سواء في كلام العرب والمولدين. وهذه الخصائص لا تقتصر على الأدوات، بل تشاركها في ذلك الضمائر والظروف(8).

7- افتقارها إلى غيرها:

تفتقر الأدوات إلى غيرها من الضمائم، فلا يكتمل معناها إلا بها، فلا يفيد الجار إلا مع المجرور، ولا العاطف إلا مع المعطوف ولا تُحذف إلا بقرينة توضح معنى الأداة، مثل، عمّ، لِمَ ؟

8- **الخصوص والعموم:**

يؤتى بالأدوات عموماً لمعنى معين، وإذا خُصّت الأداة صارت عاملاً، له دور في تغيير الحركة الإعرابية مثل نواصب الفعل أو جوازمه أو الحروف المشبهة بالفعل .... وبذلك يكون لها دوران: دور دلالي ودور وظيفي يرتبط بظاهرة الإعراب في العربية.

9- **التعليق:**

التعليق من أبرز خصائص الأدوات، وهو الوظيفة الأساسية التي تشترك في دلالتها على معان وظيفية كالمعاني التي تؤديها أدوات الشرط والاستفهام والعطف والمعية والجر....

والتعليق وظيفة تُؤديها جميع الأدوات، وهي الواصلات لأجزاء الكلام، وهي :على أربعة أوجه: ربط اسم باسم، وربط فعل بفعل، وربط فعل باسم وربط جملة بجملة.

بنية الأدوات:

البنية هي الهيئة، وبنية الكلمة صيغتها التي تكون عليها، وبنية الأدوات حروفها التي تكون عليها من واحد إلى خمسة.

- **الأحادية: الباء والفاء واللم والواو.....**
- **الثنائية: عن، في، مِن، هل....**
- **الثلاثية: حيث، ثُمّ، أين......**
- **الرباعية: حتّى، لعلّ، لكنْ.....**
- **الخماسية: لكنّ وهي الأداة الوحيدة التي تتكون من خمسة أصوات(لاكنن).**

هناك أدوات مفردة مثل حتّى، إلى، في... وأخرى مركبة مثل لولا، هلاّ، لوما. ولكن بعد التركيب تصير كلمة واحدة، وذات معنى معين لم يكن لجزء من أجزائها قبل التركيب.

1- البنية الأصلية والمنقولة:

الأداة تفيد معنى بالأصالة، وتسمى حروف المعاني أو الأدوات الأصلية ولو سقطت تغّير المعنى ولا يختل أصل الكلام، كأدوات النفي والاستفهام.... والأدوات المحولّة أو المنقولة، منها:

- نقل بعض الألفاظ مثل مَنْ، مَا، أيّ إلى معاني الشرط والاستفهام والمصدرية الظرفية والتعجب.
- استعمال بعض المبهمات في تعليق الجمل مثل كَمْ، في التكثير(كم الخبرية)، وفي الاستفهام (كم الاستفهامية).
- استخدام بعض الظروف في تعليق جمل الجزاء والشرط والاستفهام، مثل متى، أيّن، أين......

2- معانيها:

تتلخص أشهر المعاني التي تؤديها الأدوات النحوية فيما يأتي:

- الأمر: (لام)
- النهي: (لا)
- الاستفهام: (الهمزة)و(هل).
- القسم: (الواو، الباء، التاء، اللام)
- النفي: (لم، لمّا، لا، لن، ما، إنْ، لات)
- الشرط: (إِنْ، إذما، لو، لولا، لما).
- التوكيد: (إنّ، أنّ، النون، لام الابتداء، قد).

- العطف: (الواو، الفاء، ثُم، أو، بل، لا،حتى، لكن).
- النداء: (يا، أيا، هيا، أي،وا، الهمزة).
- الاستثناء: (إلا، خلا، عدا، حاشا، غير، سوى، ليس، لايكون).
- الاستقبال: (السين، سوف).
- المصدرية:(أنّ، أنْ، ما، لو، كي).
- الجواب: (نعم، بلى، أجل،جَيْر).
- التحضيض والعرض: (هلاّ، لولاَ، أَلا، أما).
- الاستفتاح والتنبيه: (ألا، أما، يا، ها).
- التفسير: (أنْ، أيْ).

يتضح لنا ممّا سبق أن الأداة تؤدي وظيفة نحوية عامّة، وهذه الوظيفة تتّضح بالتعبير عن المعنى العام للأساليب، فيكون معنى الأداة هو معنى الجملة، وتسمى الأداة باسم ما تؤديه من وظيفة خاصة، فيقال فيها: الجملة المنفية، والجملة الاستفهامية، ومن هنا تعتبر الجملة محولة لغرض كذا.

3-البنية الواحدة والمعنى المتعدد:

توجد كثير من الأدوات بنيتها واحدة، ولكن معانيها متعددة، مثل:

- مَنْ: تستخدم اسم استفهام، نحو: من جاءَ؟ وترد كذلك اسم شرط، نحو: مَن يجتهد ينجح، واسم موصول نحو: حَضَر مَنْ تحبُّ.
- ماَ: تستخدم للنفي، نحو: مَا ضَاع حقُ وراءه طالب، واسم استفهام نحو: ما هي؟ واسم موصول،نحو: اقرأ ما ينفعك، وتعجّبيّة

نحو ماَ أجمل الربيع! ومصدرية نحو قوله تعالى:(**وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًّا) طه.**

تتعدّد الوظائف للمبني الواحد، وهو ما يجعل العلاقات تتشابك بين المعطيات الصرفية والنحوية ويقتضي التفريق بينها على الفهم الدقيق لأساليب اللغة العربية. فالمعنى تحققه قرائن لفظية ومعنوية داخل السياق فإذا تحقق ذلك، تجلّى المعنى بوضوح.

السياق:

يؤكد أصحاب نظرية السياق على الوظيفة الاجتماعية للغة، فالمعنى لا ينكشف إلا من خلال وضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة.(9)وهذا مبدأ هام، ينطلق من أن الكلمة معزولة متعددّة الدلالة .

والسياق كفيل بتحديد منزع دلالي معين من بين جميع الوجوه الممكنة، وبذلك ينبغي أن يشمل الألفاظ والتراكيب، والنص كله، كما يحسن أن يشمل كل ما يتصل بالكلمة من ملابسات لغوية، وغير لغوية، تتعلق بالمقام الاجتماعي.

وقد كان لعبد القاهر الجرجاني فضل في هذا المجال، إذ « لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادًا، ومجّردة من معاني النحو» (10).

ويوضح الأمر في موضوع لاحق إذ يقول:« إن الألفاظ المفردة التي هي من أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضمّ بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها من فوائد» (11).

إنّ وظيفة الأداة متعددّة، داخل الجملة والنص، فتؤثر فيما يجاورها من كلمات، كما يتحدد معناها بجملة من القرائن داخل السياق اللغوي وقد يكون لبعضها دوران: دور وظيفي يجلب الحركة أو يعدمها(السكون) ودور دلالي

عام تشترك فيه جميع الأدوات، وكأنها مفتاح أو قرينة على أسلوب الجملة.

هوامش ومراجع

1- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الرفاعي، القاهرة، ج12/1.

2- صبري المتولي، في علم النحو العربي، رؤية جديدة، وعرض نقدي، دار غريب القاهرة 2001،ص.232

3- محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت دار الثقافة، الجزائر،ص.10

4- الكتاب، مرجع سابق،4/.135

5- أبو السعود حسنين الشاذلي، الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية، دراسة تحليلية تطبيقية دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،ط1،1989، ص.31

6- الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد التنجي، دار الكتاب العربي، ط2،1997،ص13 وما بعدها.

7- تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1998،ص.125

8- نفسه،ص.121

9- أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، مكتبة العروبة للنشر والتوزيع، ليبيا،ص.68

10- الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص.303

11- نفسه، ص391. التطرق للموضوع من وجهتي نظر تاريخية و قانونية .